الفصل السابع

رحلة مع الفلسفة المندائية

obeikandl.com

obeikandl.com

الجذور الفكرية والعقائدية

تأثر الصابئة بكثير من الديانات والمعتقدات التي احتكوا بها.

أشهر فرق الصابئة قديماً أربعة هي:

١. أصحاب الروحانيات.

٢. وأصحاب الهياكل.

٣. وأصحاب الأشخاص.

٤. والحلولية.

لقد ورد ذكرهم في القرآن مقترناً باليهود والنصارى (أهل الكتاب) والمجوس والمشركين أحياناً. ولهم أحكام خاصة بهم من حيث جواز أخذ الجزية منهم أو عدمها أسوة بالكتابيين من اليهود والنصارى.

تأثّروا بالإسلام عبر العصور، ويقال بأن كتابهم الرئيسي قد كتب بعد ظهور الإسلام. ولذلك ففي عقائدهم وشرائعهم الكثير من القواعد المتوازية مع الإسلام.

عرف منهم الصابئة الحرانيون الذين انقرضوا والذين تختلف معتقداتهم بعض الشيء عن الصابئة المندائيين الحاليين.

لم يبق من الصابئة اليوم إلا صابئة البطائح المنتشرون على ضفاف الأنهر الكبيرة في جنوب العراق وإيران.

تأثروا باليهودية، وبالمسيحية، وبالمجوسية لمجاورتهم لهم.

تأثروا بالحرانيين الذين ساكنوهم في حران عقب طردهم من فلسطين فنقلوا عنهم عبادة الكواكب والنجوم أو على الأقل تقديس هذه الكواكب وتعظيمها وتأثروا بهم في إتقان علم الفلك وحسابات النجوم.

تأثروا بالإفلاطونية الحديثة التي استقرت فلسفتها في سوريا مثل الاعتقاد بالفيض الروحي على العالم المادي.

تأثروا بالفلسفة الدينية التي ظهرت أيام إبراهيم الخليل - عليه السلام - فقد كان الناس حينها يعتقدون بقدرة الكواكب والنجوم على التأثير في حياة الناس.

تأثروا بالفلسفة اليونانية التي استقلت عن الدين، ويلاحظ أثر هذه الفلسفة اليونانية في كتبهم.

لدى الصابئة قسط من الوثنية القديمة يتجلى في تعظيم الكواكب والنجوم.

الناصِروثا

تُعرف {الناصِروثا} عند المندائيين بأنها :

علوم التبحر في الدين والفلسفة الروحانية، عميقة الجذور إلهية حقاً، علوم الحقيقة الكامنة والمعرفة اللامتناهية وكلمات الحق والصدق الأسمى، جُلبت من كنز عوالم النورالأزلية وأعطيت للنفس التي دخلت الجسد المادي عند إتمام خلقه؛ لتكون لهُ السلاح النوراني الذي به سوف يقاوم الشر والظلام القابع في العالم الفاني [آلما اد تيبل] العالم الأرضي ؛ علوم أزلية موجودة بوجود سيد العظمة (الحي العظيم، هيي قدماي) متسربلة بأشعتها وأضوائها الذاتية في سكينة تامة ؛ لم يحن الموعد بعد لتخرج من سكينتها، لأن الآدميين لم يخلقوا بعد لاحتوائها . وعندما حان موعد خلق الآدميين نادوا على (الناصِروثا)، فارتفع النداءُ (بالدعاء والتسبيح) عالياً ليصل الكون الذي هو فوق جميع كل الأكوان وإلى العالم الذي هو فوق جميع العوالم ليصل إلى كنوز النور، وبأمر سيد كنوز عوالم النور (هيي قدمايي، الحي العظيم)،

أنطلقت (الناصِروثا) وتمددت ملء الأكوان والعوالم عابرة الزمان والمكان لاحتضان النفس (النشمثا) وبالتالي أحتوائها جسد الطين الفاني، من هنا بدأت رحلة (علوم الناصِروثا) إلى العالم المادي، وستبقى مع الآدميين لحين خروج آخر نشمثا طاهر من هذا العالم، حين ذاك يأذن (الرب الله العظيم) لها بالعوده إلى بيت أبيها

الذي جُلبت منه . **الناصِروثا** طريق سهل وطيب لعودة النفس الطاهره (نشمثا)إلى عوالم النور السامية .

هذا مقطع من نص ديني للكتاب المقدس (الكنزا ربا) الأيمن، عن هبوط (نشمثا) في الجسد :

باسم الحي القيوم

"أنا {نشمثا} تحدثت إلى الأثري إخواني، وقلت لهم:

{ماذا اقترفت من إثم،

حتى أغويتموني وأزحتموني من بينكم ؟

أخذتموني من مسكني أسيرة،

وأغويتموني وأزحتموني من بيت أبي

وأخذ كل واحد منهم يتحدث إليها :

يا نشمثا الحياة المنتصرة،

يارسولة كل النيرات

يانشمثا الحياة الطاهرة،

يا نشمثا، قفي واذهبي هناك،

وادخلي الجسد وابقي مقيدة في القصر {الجسد}،

ومن خلالك سيُقيّد الأسد الهائج،

وسيقتل الشرير في مكانه،

ومن خلالك سيُقيّد ملك الظلام.....

وتجيب {نشمثا} وتتحدث إلى {منداهيي}:

أيها الصالح،

رسول النور،

إذا أردت مني أن أذهب إلى هناك،

وأدخل في الجسد،

وأبقى أسيرة فيه،

فأعطني إذن سلاحاً سامياً،

لأبعد عني {الأشرار} .

{وأجابها منادهيي} :

ما هو السلاح السامي الذي تريدينه يا {نشمثا}،

حتى نجلبه لك من كنز الحياة ؟

سلاحُك هو {ناصيروثا}، وكلمات الصدق التي جاءت

إليك من موطن النور .

وهنا قالت {نشمثا} :

باسم {الحي العظيم}، وبعون {منداد هيي}

ذهبتُ إلى هناك ودخلت الجسد.

ذهبتُ إلى هناك ودخلتُ الجسد، وجعلت ذاتي أسيرة فيه .

ومن اليوم الذي دخلتُ فيه الجسد، كنت قرينته على مرْ الدهور .

قرينته كنت على مرْ الدهور، وكان الأشرار من الأعماق غاضبين عليّ."

ومن وصايا الرب للمؤمنين :

سلّحوا نفوسكم بأمضى من الحديد ...

سلاح ناصروثا

وكلمات ربكم الصادقة.

يوضح النص أعلاه ان {نشمثا ـ النفس} امتنعت من الدخول في الجسد وأخذت تشكو وتنوح؛ وهنا ترجو رسول النور {منادهيي} أن يُرسل لها {مُخلّصاً} يخلصها بعد الوفاة من الجسد ويرافقها إلى عالم النور ؛ والسلاح الذي تحصل عليه {نشمثا} هو {ناصيروثا}

إذن أعُطيَ هذا العلم والسلاح الروحاني للآدميين محبة ورأفة إلهية، تعينهم في مكوثهم وخروجهم من العالم الفاني ؛لأنه من خلال التعمق بهذا العلم والتبحر

بفلسفتة اللاهوتية يكون الناصورائي المؤمن ؛ قد وصل إلى أعلى درجات التصوف {الزهد في الدُنيا} ، ونكرانها ونكران مغرياتها وملذاتها الوقتية المزيفة، لأن فلسفته الروحانية قد فتحت أبواب عقله وفكره وحررته من كل سيطرة وعبودية يمكن أن تلحق به من هذا العالم، بعد أن استطاع تحقيق توازنه المختل، بين طبيعته الانسانية المادية بما فيها من قوى سالبه المتمثلة بـ {الغرائز والشهوات والحواس} وبين طبيعته السماوية النورانية المتمثلة بعناصرها الإيجابية كـ {الحب والعطاء والإيمان} ،

واستطاع أن يرسم طريق حياته المثالية التي يحياها في هذا العالم، وطريق حياته هذا سوف يؤدي به إلى الوعي وتفتح طاقاته الباطنية وإمكانياته الإنسانية، كالعمل والنظام والصبر وبرؤية واضحة تفهم كافة الأمور الحياتية.

الاعتقاد بدوام حفظ المندائية

تتمتع الفلسفة المندائية بخاصية عظيمة تجعلها ثابتة وكريمة، ومحافظة على نقاء جوهرها لاتخضع لأحكام الزمان والمكان، ما أن يصيبها اضطهاد، أو أذى دنيوي المتمثل بقوى الشر والظلام على مر الدهور والعصور حتى يظن البعض أنها قد تزول، تنبعث مجدداً من بين الفوضى والاضطراب، كاشفة عن أشعتها النورانية، وأسرارها العظيمة بكل قوة وفخر، مبشرة أحبابها بالأمل والاطمئنان والإنقاذ الأبدي من الخراب الدنيوي ؛ لأنها متجذرة. والجذرُ لايموت أبداً.

سلالة الناصورائية

تعتبر بشرية السلالة الأولى للنبي آدم (مبارك اسمه) من أولى السلالات (الناصورائية)، ونواة الديانة المندائية من بذرة حكماء أنقياء اجتمعت فيهم كل عناصر علوم) الناصِروثا) ؛ مما جعلتهم يمتازون بالمقدرة الروحانية الفائقة في البصيرة والتعمق الروحي والتبحر في الدين إضافة للمقدرة الجسمانية والصحية ؛ كُشِفت لديهم الكثير من أسرار النفس والذات، وأسرارعلوم السماء والأرض؛ وممارستهم لهذه العلوم السامية في حياتهم الروحية والعملية فتحت لهم أبواب اتصال

روحانية بين عالمهم المادي والعالم فوق المادي (النوراني) ما جعلهم على ثقة واحساس تاميين بمعانقتهم للحياة الابدية الخالدة.

رجال الدين المندائي

ويطلق اسم (الناصورايي) على الروحانيين (رجال الدين) الذين يراعون تطبيق الأحكام والأوامر الدينية قبل غيرهم، والمؤمنون الحقيقيون (النقاة) ؛ (فالناصورايي) هم الاشخاص الذين يفهمون (الناصيروثا) التي هي فلسفة الديانة المندائية، (كان النبي يحيى (ع) ناصورائياً وكذلك والديه، والسيد المسيح أيضاً) ذا معجزات تعالج بصورة رئيسية شفاء أبدان الناس وأرواحهم .

وكلمة (ناصورائي) من الجذر السامي (ن ص ر) ويعني (راقب، حدس، صان) وفي الأكدية نجد معناها نفسه في طقوس الكهنة الأكديين،

وفي البابلية (nasaru) بمعنى (مراقبي السماء أو حافضي الاسرار)

وفي العربية (نصر، ونظر)

وفي العبرية نصر (نظر)

فالصيغة المندائية تعود إلى الصيغة الآراميه القديمة العهد، لذلك لا يمكن أبداً إرجاع كلمة ناصورائي المندائية إلى المصطلح السرياني (ناصُرايَ، ناصري) أي مسيحي (نصراني)، ومن ناحة أخرى اعتبر الباحث الألماني (**ماتسوخ**) أن لفظة (ناصورائي، ناصورايا) هي الدليل القاطع على قِدَم الناصورائية المندائية وأصلها.

مبارك أنت الناصِروثا

مقطع من دعاء النبي سام بن نوح (ع)

مبارك أنت الناصِروثا

الذي منك تعلم المختارون.

مواعـظ النبي يهيا للناصورائيين:

إذا أصبحت ناصورائياً،

فكلّ فضيلـةٍ من فَضائِلِكَ سـلاحٌ

يُعينُ باهري الصدق

أنك تُعينهُم بالإيمان والاستقـامـةِ

والمعرفـةِ والحكمـةِ،

والتعـليم ،

والرجاء ،

والصـلاةِ

والتسبيـح ،

والصدقةِ،

والطيبـةِ،

والتواضـع ، والإتقـان

والرأفة ،

والحنان ،

والتبصر،

ومحـبة الحـق

(عن كنزا ربا - يمين - الكتاب التاسع)

obeikandl.com

الفكر الفلسفي المندائي

الفرقة الغنوصية الوحيدة الباقية

هل ما قدمه المندائيون سواء ما جاء في كتبهم المقدسة أو أساطيرهم المنقولة يعتبر إنجازاً فلسفياً ؟

الفكر المندائي بالرغم مما ساده أحياناً من الغموض والتشويش والرمزية لايخلو من دلالة فلسفية لها ارتباط واضح (بالغنوصية القديمة) ويمكن القول بأنهم الفرقة الغنوصية الوحيدة الباقية والمحافظة على فكرها حتى الآن.

كنزا ربّا كتاب فلسفي

عند دراستنا للفكر الفلسفي المندائي وبالأخص في الكتاب المقدس (كنزا-ربا) سوف نجد هناك عدة فصول مطولة تبحث في الخالق العظيم (المهندس الأول للكون) والنفس وهبوطها ورجوعها ثانية بأمر الخالق والإنسان والكون وما يحتوية. وحوارات فلسفية ناضجة كالحوار بين النفس والأثريين (الملائكة) عندما أرادوا نقلها من مكانها العلوي إلى جسد آدم، وحوار آدم مع الأثريين عندما أرادوا إرجاع(الروح) نشمثتا إلى عالمها العلوي ومعارضته في بادئ الأمر وغير ذلك من الحوارات الفلسفية المهمة في عالم الفلسفة .

قانون الصراع بين الأضداد

وعند تدقيقنا للأسلوب الفلسفي المتبع في فصول كتاب الكنزا ربا والقانون العام الذي يؤطرالأفكار المندائية سنجده بكل وضوح هو قانون الصراع بين الأضداد أو ما يسمى بالثنائية وهو قانون فلسفي اعتمدته الكثير من الحركات الفلسفية منذ فجر التاريخ ولحد الآن ولكنه أكثر وضوحاً في الفلسفة المندائية عن غيرها من المدارس الغنوصية.

obeikandl.com

فقانون الصراع بين الأضداد يعني أن كل عالم يحمل نقيضين متلازمين ومتضاديين متصارعين لا ينفصلان ولا يلتقيان وهذا الصراع يشمل جميع مفردات الكون بما فيها الإنسان والخالق.

فهناك في الكون عالمان:

١. عالم الخير (عالم- الما دنهورا) ويوصف بعالم الطيبة ويتربع على عرشة ملك النور (قوتك لم يصلها أو يحدها أحد سبحانك ملك النور خالق جميع الظواهر أنت النور الذي لا ظلام ولا غضب فيك) من كتاب - كنزا ربا- المقدس.

٢. يقابله عالم الشر (عالم الظلام)-ادهشوخا- ويوصف بالطبيعة الشريرة **(ومن الماء الآسن ولد هو موطن الظلام الذي لانور فيه موطن العصيان الذي لاهدوء فيه موطن الأشرار الذي لاخير فيه) كنزا ربا.**

وقانون الصراع بين الأضداد يشمل الإنسان الذي يحمل عالمين متصارعين عالم الخير –هي النشمثا- وأصلها من عالم النور تتصارع مع عالم الجسد عالم الشر الذي أدخلت فيه بالرغم منها وتنتظر ساعة خروجها وهي فرحة لتلتحق ثانية بعالمها العلوي وبالرغم من خروجها وهي في طريقها تنظر إلى الجسد متألمة عليه وكأنهما وحدة لا يمكن فصلهما بالرغم من صراعهما.

قانون الصراع المتلازم في اليردنا

ونلاحظ قانون الصراع المتلازم في اليردنا -الماء- فالماء والذي انبثقت منه تيبل- الأرض- يشمل جزءاً منه ميه هيي –الماء الرباني- الذي أصله من مياه الرب وهذا الجزء هو المقدس وكمية تسع الماء أما بقية المياه التسعة أعشار (تاهمي) فهي مياه الشر المتناقضة دائماً مع الماء الرباني الذي أرسل ليطهر ماء الشر .

وهكذا نطلع بأن كل ما موجود في العوالم السفلى والعليا وفقاً للمفهوم الفلسفي المندائي في تناقض وصراع مستمر بين مكوناته، إنه صراع أزلي ما بين النور والظلام لايوجد كشطا(عهد) أو لوفا (اتحاد) بل كره وغيرة وانفصال ليس إلا كنز ربا.

وبالرغم من هذا الكره والتناقض بين المتناقضين يبقيان متلازمين وكل واحد يعود إلى الآخر وصورته منه، عوالم النو ر وعوالم الظلام هما كالجسد ومثيله، لاينفصل أحدهما عن الآخر.

وتؤكد الأفكار الفلسفية المندائية بالرغم من أن عالم الشر يحاول أن يحكم الكون بالقوة والأشرار وآلاف مؤلفة من الجن والشياطين ولكن عالم الخير يقف ضده ويحد من قوته . فالأرض هي ليست للظلام.

مناجاة في طلب الرحمة

من يعمل خيراً يجد من يكرهه،

ومن يعمل شراً يجد من يحبه

الكل يعرف أن لكلِّ فعلٍ رد فعلٍ،

وليس بخافٍ أن ما من رمادٍ من غير حطب،

وما من نارٍ بلا وقود،

وليس من دخان بلا نار .

منذ أن تنسّم آدم نسمة الحياة الأولى،

ومنذ أن نشب أول صراع بين قابيل وهابيل،
ومنذ أن اقترف أحدهم جريمة بحق أخيه .
ما أردت أن أقوله من هذه المقدمة غير القصيرة ؛

كثيرة هي الأقوال،
قليلة هي الأفعال،
الكثير هم من يسمعون،
القليل هم من يطبّقون،
نحن نعي ونفهم،
وفي نفس الوقت نتغابى ونتعامى،
من يعمل خيرا" يجد من يكرهه،
ومن يعمل شرا" يجد من يحبه
(شبيه الشيء منجذب إليه)
لا يُحب السيئ إلا السيئ
ولا يكره الخير إلا السيئ .
{قال : انتبهوا إخوتي،
واحذروا الموت لاسيّما أنتم رؤساء المعابد ؛
فحالما تطبقون أجفانكم إلى الأبد،
ستحاسبون عمّا فعلتم،
وفي المطراثي ستخضعون للاختبار

فهناك أبٌ وابن سيحاسبان،
وسيحاسب معلّم وتلميذ ...
هناك أمٌ وبنت ستحاسبانِ،
وستحاسب حماة وعروس،
هناك سيد وسيدة سيحاسبانِ،

obeikandl.com

سيحاسب كلَّ أجير ، الجميع سيحاسبون .

بُعث إلى هذه الدنيا وقد أغضب رئيس المعابد ليحاسب الكنزبري ورجال بيت الحق،

يسألهم عن الأجر وعن الصدقة التي يهبونها،

و كيف تدخل إلى بيت المال

طوبى لمن حفظ نفسه،

الرجل الذي يحفظ نفسه لا يضاهيه أحد،

طوبى للأعمال النافعة التي تقيكم من كلِّ سوء.

الوحدانية في الديانة المندائية

{ملعون وموصوم بالعار

كل من لا يعلم أن ربنا هو ملك النور العظيم،

ملك السمواتّ والأرض،

الواحد الأحد}

{نناشدك يحيى بملك النور العظيم

الذي سجدت له}

الديانة المندائية، هذا الدين القديم لم يقم إلا على التوحيد، توحيد الذات الإلهية فقط .

الدين المندائي وجد مع وجود الإنسان الأول، وآدم أول الأنبياء ؛ فهو والحالة هذه أنزل مع مع نزول نسمة الحياة في جسد آدم . لقد صنع الإنسان بداية الأمر التماثيل والأصنام، وبنى الهياكل لتكون الوسيط بينه وبين خالقه لكن وبعد مرور زمنٍ على هذا الصنع نسيت الغاية وصارت {الوسيلة هي الغاية} فلقد أضحت هذه التماثيل والنصب تتمتع بالقوة المطلقة والتي هي بالأساس قوة الخالق الأوحد الذي تدين له الرقاب وله وحده الثواب والعقاب ؛ لقد نسي هؤلاءِ في خضم الحياة

حقيقة أن ما يقدسون وما يعظمون الآن ما هي إلا حجارة صنعوها بأيديهم ولا تملك ضراً أو نفعاً لهم؛ هذا النسيان ولّد عبادة الأوثان والأصنام، قد يكون مرد هذا التحول والنكوص يعود إلى الطبيعة البشرية التي ما كانت تصدق إلا ما تراه العيون وما تلمسه الأيدي أو ما تميزه بقية الحواس، لكن أن يأتي {رسول أو نبي} ويقول إن هناك من هو قادر على الإحياء، وله القدرة {وحده} على المنح والمنع، وإننا لا نستطيع معرفة كينونته وماهيته إلا بالعقل والمنطق، فكان هذا والحالة تلك محض هراء لم يقتنع به أحد ،واحتاج الأنبياء والرسل إلى سنواتٍ طويلة وعذابات مريرة ليوضحوا لبني البشرهذه الكينونة، إلا أن المندائيين أصحاب العقيدة الثابتة الواضحة لم يرتضوا إلا أن يكونوا عبدة الواحد الأحد ذي الجلال والإكرام، خالق الخلق والذي بيده أقام الدنا السبع وله وحده أن ينهيها لحظة يشاء . كتاب {مواعظ وتعاليم يحيى بن زكريا} زاخر بنصوص تنهى عن القيام بمثل هذه البدع خاصة بعد تفشي عبادة الأصنام والأوثان وبناء هياكل تمجد الأشياء لا خالقها .{أبنائي، احذروا، لا تسجدوا للشيطان والأصنام والتماثيل في هذا العالم، مذنب من يفعل ذلك، ولا يصل إلى دار الكمال}

{أيها المختارون، إن القرابين التي تقدمونها للهياكل تفقر تفكيركم وإيمانكم وتفرقكم} إنها دعوة واضحة الأهداف لا غموض فيها، ولا يمكن تجاهلها؛ فهي صادرة عن نبي فتح الحي الأزلي بصيرته وهداه إلى سواء السبيل .لقد خلق الله الشيطان ليكون الفيصل بين الخير والشر وليمتحن قدرة البشر على التمييز ..{ركبتاي اللتان سجدتا للحي العظيم لن تسجدا للشيطان والأصنام، قدماي اللتان سلكتا طريق الحق والإيمان لن تسلكا دروب الزور والمعصية ..} ونص آخر يؤكد هذا المعنى {أصدقائي، أيها الساجدون للحي العظيم،خطاياكم وذنوبكم ستغفر..}

فيض من النصوص والتي تدعو كلها إلى هدف واحد وأمر واحد ؛ فهي كلها تسعى إلى أن ينتبه البشر أن لا حياة بدون صانع هذه الحياة ألا وهو الواحد الأحد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد .

ربنا لك ندعو، وباسمك نلهج، ولك نسبّح ؛ فامنحنا وضوح الرؤيا وسهل لنا أمورنا، وهب لنا من لدنك هدوء أنفسنا.

والحي مزكّي الأعمال والنيات

الهدوء وتجنب الغضب

كتب المندائي المتدين السيد فاروق عبدالجبّار عبد الإمام: الهدوء أول سمات العاقل ؛ فهو يتيح له التفكير السليم وبالتالي الوصول إلى النهايات المنطقية . نحن بشر وقد خصّنا الخالق الأوحد بميزة فريدة ألا وهي ميزة العقل الراجح، لكننا كثيرا" ما نخذله بعملٍ طائشٍ متهوّرٍ غير مسؤول . كتاب {مواعظ وتعاليم يحيى بن زكريّا} (ع) يُفتتح بنصٍ يبدو فيه الحق يتساءل (مم خُلق آدم ؟ وكيف تكونت حواء) لنتريّث قليلاً ولو لحظة واحدة، وأن لا نحث الخطى – كعادتنا – ونترك هذا المقطع دون الالتفات إليه ونتساءل: هل كان (الحق) سبحانه وتعالى فرحاً جذلاً أم كان كمن يتحاور مع ملائكته، أو كان غضباً حانقاً ؟ . إن الذي يتمكن من أن يفهم هذا سيجد (يوشامن) وقد وضع نفسه موضعاً لا يحسد عليه، وفي حالة يرثى لها ؛ وبذا استحق العقاب والتجريح بدلاً من الثواب والمديح فلأن {يوشامن هو الذي أشعل فتيل الحرب، وجنى مرارة المشاجرة الكبرى التي لم تستطع الأجيال أن تغيّرها} فسيكون من المنطقي أن عقابه سيكون بمقدار فعله الشائن ؛ لذا جمع (الحق) الملائكة بالرغم من أنه –العارف- بكلِّ شيء، إلا أنه سبحانه وتعالى أراد أن يُعلم الجميع أن ليس ثمّة من يعصى أوامره ونواهيه ويفلت من العقاب، أو يطلب المغفرة ويلتمس المغفرة ليستطيع المذنب أن يصحح ما بدر منه كيلا يناله ما هو أقسى وأمر ؛ فعلى الرغم من أن {يوشامن جلا سِرّ الحياة العظمى} وكان مقرباً من الحق إلا أنه فقد هذه المكانة السامية حين قال {بقدرتي وبالدعاء والتعظيم لنفسي وضعت النصائح وأطلقتُ الأوامر، واخترتُ من يتكلّم معي ... لم اصغِ إلى نداء الحياة العظمى .. لقد أغضبتُ أبي ؛ ففقدتُ

حريتي} ومن نفس النص نقرأ ثانية"، وكأننا نسمع الصوت الهادئ الصادر عن (اتنصّاب زيوا) وهو يلوم وبلطف العاقل وبأدب العالِم المتفهّم يلوم يوشامن على تهوره وعدم امتثاله لأوامر الحي الأزلي، فيقول {ألم توصَ أن تهدأ ، أن تتجنبَ الغضب كيلا تثير المتاعب ..} نفهم من هذا الحوار أن المتاعب هي نتيجة الغضب،والهدوء البديل لقمع هذه الحالة غير المستحبّة لأنه {فقد الحكمة الأولى التي وهبها لك الأولون ... وكما تجري المياه في الأنهار تدفقت الدموع من عينيك} لكن هل تغسل دموع الندم الأعمال السيئة ؟ هل يُعيد الندم ما قد فُقد ؟ {كان لك عرش، وها أنت عند باب سوفات تُقيم. لقد أشعت الخراب في كلِّ ما أنجزت..} . لنعد الآن ترتيب الأحداث .فأول الأمر تمَّ إبعاد يوشامن لأنه لم {يسمع} كلام الحق الأزلي ولم يطبّق ما طلب منه ؛ فكان جزاء هذا العقوق أن قال يوشامن {أنا منزِل الأحزان ... وحدي أحمل الهموم و لا تتخلى عني ... والعدالة ترصد كلَّ الأخطاء} .

كان يوشامن يعرف أن ما اقترفه لن يكون مما يمكن أن يُغفر له أو أن يُغض الطرف عنه، كان يعلم، بيد أنه لم يكترث ؛لذا أُنزل به الغضب الإلهي، كان يوشامن (يعتقد) أن الحي الأزلي غافل عمّا يفعل و إلا فما الداعي لهذا العمل الخائب! ونتيجة أخرى لما اقترفه أن صدر الأمر بأن {تحجب أعمال يوشامن، إن يوشامن أصبح من الخاسرين} والمصيبة قبل النهائية التي أصابت هذا المغضوب عليه {أقم سجناً وألقِ بيوشامن فيه} لكن العقوبة النهائية كانت أقسى عقوبة يمكن أن يتعرّض لها ملاك مقرّب من الحياة العظمى فلقد {بدأ ضوء يوشامن يخفت، فألقى به منادهيي في السجن} . ومع كلِّ ما بدر منه إلا أننا نجد من يتوسّط له عند ملك النور ؛ لما أبداه يوشامن من ندم ، فها نحن نسمعه يقول {من أُنادي كي يجيبني ؟ إذا سألتُ أجاب، ولا يئد كلماتي ... لماذا أقبع عند باب سوفات تُحيط بي الحسرات، هل هناك مثلي تخلّى عنه حتى الأبناء} لكن دعونا نسمع ما قاله الوسيط لملك النور العظيم الأمر الذي أدّى إلى الصفح عن هذا المغضوب عليه {أنت العليم ذو الجلال، أنت كنز لاينفد ، أيها المنقذ ذو الوقار، أنت الذي أوضح التعاليم، وأضاء ها بلا حدود ، إن صباغتك بيردنا ثابتة ؛ فمستقرها في

ذاتك ... باسمك سيهدأ ويستقر ويوطد في مكانه ... فلن تتركه في غضبه، إن التوبة تملأ فكره وقلبه ..... وفي صحن سجنه غارق في التنهدات ؛فبات لا يقوى على التفكير} ولأن ملك النور مليء بالرحمة؛فهو الرحمن الرحيم لذا {أمر أنصاب زيوا أن يكشف الأسرار بوضوح وبصورةٍ متقنةٍ، وأن يجمع له التعاليم والحكمة.... وأن يهدّئ من روع يوشامن بكلمات تزرع الراحة في قلبه وترسّخها .... أن الحياة العظمى تكنٌّ له خيراً كثيراً} .

ربّنا خفف من شطط نزعاتنا وامنحنا نعمة التفكير السليم، وهبْ لنا عقلاً مميزاً ولساناً فصيحاً نسبّح لك به، إنك أنت العليم الحكيم .

والحي مزكّي الأعمال والنيّات

فلسفة الموت في المندائية
الأزل السرمدي

تأتي المندائية كقدم. ومن تلك الديانات التي ملكت أزليتها وفق تلك الرؤى مادي لازال حتى اليوم يرتبط بمورثه الشعوري بذات الرداء وذات الطقوس والكلمات فلم يتغير في المندائية شيء ولم يخضعها مريدوها إلى تأويل العصور الجديدة، إن الأمر لديهم ظل على ما هو مادامت هي في جوهرها تعني السعي إلى النور وكما تقول ألواحهم الأولى :

الروح سابحة في الأمكنة.

والابتعاد عن الظلمة المقدسة،

وهي تسكن كل بدن طاهر،

ومتى كانت هناك خطيئة

فهي أول من ينبهنا

إلى فعلها الشرير

ولأن أخلاقيات كل عصر تقوم على المبادئ أعلاه ظلت المندائية تنأى عن السعة الفقهية للمفردة مادام الأمر واضحاً:

كن مخلصا للواحد

تتل أبديته

ولأنه نظر إلى الحياة من خلال نافذة الروح، فإن فكر المندائي الأول التعامل مع بداياتها ونهاياتها بالنسبة للفرد المندائي.

يقول المندائي :

إنها عصيان الأمس وعلينا الالتزام بها ، وخارج هذا الشعور تكون آخرته.

وتقول صحائفهم:

من يعصَ ربه

يفقد بهاء روحه.

هاجس الحياة والموت

تنظر الروح المندائية إلى هاجس الحياة والموت على أنه تبادل أدوار في تشكيل الخلق البشري، وهما شكل من اشكال عملية الديمومة الكونية للمندائي الذي يعتقد أن السماء وضعت خيارات وجوده عبرّ من خلالها أن يواصل طقوسه التي يثبت أن هذه المرئيات الكونية هي وسيط روحي فقط. فيها ولاؤه للآله الواحد.

الوسائط المادية هي كثيرة ومتوفرة على الأرض، منها الطقوس النذرية. وطقوس الزكاة والتطهر والتعميد والأعمال الخيرة وأفعال كثيرة أخرى يشغلنا الموت أكثر مما تشغلنا الحياة، لرغبة في الكامن فينا أن يعرف حقيقة المصير، وبعضهم يطالب بمدة تمتع طويلة بمباهج الحياة بعد ان قرأ في الكتب. والآخر أراد أن يعصرن طموحه. وإن بعض الانبياء وصلت اعمارهم إلى مئات السنيين.

تحسس الأزل

في المندائية الموت هو الذهاب بعيداً إلى حيث نرى ولا نرى، طقوس تقترن بتحسس الأزل لهذا الهاجس المخيف ولذلك ظلوا مثل كل الأقوام القديمة يستعينون

بالإيحاء لتجميل هذا الرعب، وكادت طقوس أستقباله والتعامل معه تتشابه كثيراً مع الطقوس السومرية ومنها طقوس الدفن، حيث يفصل الموت في طريقة التعامل معه على الأساس الطبقي كما عند السومريين حيث تختلف طقوس الموت من طبقة إلى أخرى، فالملك عندما يموت يظل هاجس الوجود يرافق أحلامه فيأخذ معه كل مستلزمات الحياة الأخرى التي يظنها موجودة هنالك حيث يقول اللوح:

(هنا يتشابه مع المدرك المندائي لخليقة الحياة والموت)

الليل سيجد لك مكاناً ما

أن تحط الرحال عندنا

خبزك سيكون حاراً

وعبيدك جاهزون

والأخطاء التي جئت بها إلينا

سنعيدها وحيدة إلى العالم الأرضي

لأننا نريدك روحاً نقياً

مثل الماء النذري

لأجل هذا يتعامل المندائيون مع طقس الموت بذات الرؤى، فهما يتشابهان في الكثير من التطبيقات.

فالسومريون يرون مثلاً أن الموت الذي يسلب السومري في يوم عيد فإن هذا فأل حسن لآخرته وأن دلمون ستتعامل معه كما تتعامل مع الملك أو الكاهن الأكبر.

وفي المندائية يتقابل مثل هذا مع شعور عند المندائيين سجلته المستشرقة (إثيل استيفانا داور).

وكتب أحد الباحثين يصف شيخاً منكوباً بموت أخيه:

(كان وجهه مشرقاً بالسرور وهو يقول لي : (لقد مات أخي صباح هذا اليوم، إنه رائع عظيم وقد منعت النساء من البكاء).

ويعتقد المندائيون أنه إذا مات شخص في الأيام المقدسة وفي الأعياد المندائية فذلك يسعدهم ويسعد الميت. وهذا الاعتقاد له مايشابهه عند المسلمين. فقد يكون أحد الفريقين أخذه عن الآخر.

لكن عند المندائيين يزداد شرح فرحة الميت، وذلك يعني أن روح الميت سترتفع بسرعة إلى عالم الأنوار وستنجو من مخاطر وعذاب المطهر. هذه التشابهات الطقوسية تتقاسمها أيضاً اختلافات كثيرة فالرائي المندائي رهن الموت بالوجود الكوني وأن الكواكب مثلاً وخاصة النجم القطبي له دور كبير في رسم الهدوء القادم للذي اكتملت في جسده رغبة الموت. ولكنهم في اللحظة ذاتها كانوا يفكرون مثلما كان يفكر السومري بموته أن تكون استراحته الممدة على حصيرة البردي.

ويقول أحد المثقفين من الصابئة:

قصب البردي كان يمثل لأجدادنا الارتباط بموجه الروح المندائية ومطهرها من كل خطيئة وهو الماء والقصب يشكل مع السمك ولدي الماء المدللين ولهذا فإن المندائي الغائب (أي الميت) عندما يزور صديقاً أو حبيباً في أطياف الحلم غالباً ما يطلب منه أن يقدم نذراً لروحه التي ما زالت هائمة في الأفلاك في انتظار قدره النهائي يطلب (سمكاً مشوياً).

وقد نشرت مجلة "آفاق مندائية" حلماً زار إحدى النساء المندائيات عندما رأت أخاها الأكبر يطلب منها تحضير الأطعمة التالية من أجل روحه في طقس اللوفاني :

(غذاء الارواح) وكان السمك المشوي في التسلسل الثالث بين الأطعمة.

ففي تصور قديم لشكل الموت عند المندائيين وهم بذلك يتشابهون مع الطقس الفارسي القديم : إن الميت يترك لأيام ممدداً في العراء حتى يأكل الطير من جسده.

يقول أحد المندائيين : في تصوري أن الأعتقاد السائد أن الطير يستطيع أن يصل إلى السماء قبل الجسد . وهو تصور غير معتد به اليوم وتبقى تطوف حول الجسد لأيام.

أزلية القدر

نلاحظ شدة وعي الروح بأزلية القدر الشخصي للمندائي عندما يقترب منه الموت. لحدوث وقيعة هاجسي الموت والحياة. أي أن الإله موجود وأن حكمته قد تسير وفق أحلامنا الطيبة أي أن المندائي. يتمنى الخير للإله دائماً وهذا يحتاج منه أن

يشرك الكثير من الموجودات حتى لايشغل الإله عن ابتكاراته الأخرى رغم أن عين الإله وحسه وقدرته موجودتان.

الموت والحياة دوران يتعاقبان بالفعل
على جسد المندائي،
هما سوية مصدر الموت
تعم فيه الحركة والبركة
لكن الحياة تعم بالحركة فنراها بعيوننا
نراها في أرواحنا فقط
ومن تراه بروحك،
هو المهمين القوي.

هاجس الحياة والموت في الذات المندائية يشكلان عصب الفكرة في الإيمان بالمذهب، وأن خليقة هذا المذهب كما يرون هم، ارتهنت بالأشياء التي قامت عليها الحياة وأهمها الماء والطين، فهم يرون إلى الماء ما كانت تراه كل المعتقدات القديمة وإذا كان ثمة هاجس للخلود عند الذات المندائية، فالماء كفيل بتحقيقه وتلك تجاذبات تتشابه تماماً مع الموروث القديم في الفكر السومري والفارسي والإغريقي وحتى الهندي، فطقس المغتسل المقدس لدى الهنود يمثل بالنسبة لهم تحريراً للذات من إشكالياتها الأرضية المعقدة، وفي طقس التضحية (سوما) ثمة تقابل كبير مع الطقوس المندائية، وكما تنتهي الفكرة المندائية في هذا، تنتهي السومو.

فهم يقولون : (لقد شربنا سوما وأصبحنا خالدين وذهبنا إلى النور) وحتى في الكتاب الكهنوتي المندائي (دراشة أد يهيا) إشارات على اتصال الماء بأبدية الحياة، ولكنها تخضع لمتغيرات محكومة بالقدرة الإلهية فلا يتحقق الحلم بالخلود كما عند (أدابا) و (جلجامش)، وكما ورد في النص:

جلب هيبل زيوا بردته،
لف بها الأرض على شكل دائرة،
ونصب هناك مقياساً

كان يقيس به الماء،

ثم يصب به الماء الحي

دخل الماء الحي بالماء الفاسد

ناح الماء الحي وبكى.

وهكذا ترى المندائية ظاهرتي الموت والحياة على أنهما طبيعتان تتبادلان الأدوار، وأن الحلم والعبادة وتأدية الفرض الطقوسي قد يقربان هاتين الظاهرتين في دائرة الضوء الروحية في الجسد المندائي، ويجعل أياً منهما قدراً يولد القناعة بأن الذي يحدث هو الوجود وهو مقدر بقدرة القادر.

البروفسور كورت دوردولف

تحدث الباحث الألماني في لقاء مع السيد ثائر صالح، وعنه ننقل ماقاله البروفسور المتخصص بالأبحاث المندائية.

الصابئة من أصول سورية

كان هناك بعض المستشرقين الأوروبيين ومن بينهم الألمان يعتقدون أن أصل الصابئة هو المشرق، إذ رأوا أن الكثير من الأمور يمكن تفسيرها من خلال الأصول البابلية، وذلك في القرن التاسع عشر. ولاحقاً، بعد ترجمة **ليدزبارسكي** للنصوص المندائية إلى اللغة الألمانية، تغير رأي المستشرقين وعلماء الأديان والمؤرخين، فهناك مؤشرات في النصوص المندائية تقول بأنهم قدموا من غرب آسيا، أي فلسطين وسوريا. لأن هناك نصوصاً تشير إلى أن المندائيين الأوائل تعرضوا إلى اضطهاد

اليهود، الأورثوذوكس منهم على وجه الخصوص، مثل الزيلوتيين. وترك المندائيون سوريا وفلسطين لاحقاً وتوجهوا عبر التلال الميدية في الجزء الشمالي من وادي الرافدين إلى الجزء الجنوبي منه، ربما في رحلة استغرقت حوالي ١٠٠ عام. بدأت تلك الرحلة في القرن الأول الميلادي قبل أن يصلوا إلى جنوبي الرافدين في القرن الثاني. بالتأكيد قد يكون هناك أفراد من بابل أو جنوب وادي الرافدين ممن اعتنقوا المندائية، لكن لابد وأن كان هناك أشخاص آخرون على معرفة بالطقوس والتعميد قد قدموا من الغرب. وأعتقد أننا لانستطيع تفسير كل ما يتعلق بالمندائيين من الميثولوجيا والثيولوجيا والإيديولوجيا وغيرها استناداً إلى أواني الأدعية لوحدها. لكنها نظرية أو فرضية، ومن المحتمل أن يكون أمر الهجرة قد ابتكر لاحقاً، لكني لو اقتنعت بذلك، فسأقبله.

كتابات الأواني دليل على الهجرة

الأدلة الأثرية المندائية المعروفة هي أواني الأدعية فقط، والتي عثر عليها في بدايات حملات التنقيب في المدن السومرية والبابلية. فهناك مئات الأواني مكتوبة بالخط المندائي. وأقدمها يعود إلى القرن الثالث.

الأحراز الرصاصية

المعروف أن الأحراز الرصاصية هي الأقدم! هذا صحيح. وهي أقدم الأدلة على النصوص المندائية المعروفة وتعود إلى القرن الثالث. لكن لم يعثر على شيء من هذا القبيل على طول خط الهجرة المفترضة من فلسطين إلى جنوبي وادي الرافدين، رغم أنه يوجد مستشرق يهودي تحدث عن ألواح رصاصية، لكنهم ابتاعوها في اسرائيل، ولم يعثروا عليها هناك، بل إنها نقلت من وادي ارافدين.

الأدلة على البحث

ثمة إشارات في كتب المؤرخين القدماء مثل يوزفوس فلافيوس ترجح حصول مثل هذه الهجرة. فأحد أشهر النصوص المندائية الذي يتحدث عن هذه الهجرة هو **هران جويثا** [حران الداخلية، الجوانية] وحران هي مدينة في شمال وادي الرافدين تقع اليوم في تركيا. بداية النص مفقودة، وتبدأ بذهاب المندائيين إلى التلال بقيادة ملك يدعى أردبان، وهو لابد وأن يكون أحد الملوك الفرثيين، ولعله ارتبان الرابع، وهذا يؤكد على أن المندائيين هاجروا في القرن الأول. ولم يضطهدهم الملوك الفرثيون، على العكس من الملوك الساسانيين الذين حكموا بعدهم. ونجد في شهادة كارثير رئيس الكهنة الزرادشتيين المكتوبة على الصخر تعبير "**المغتسلة**" وكذلك اسم **الناصوريين**. لكن الاسم قد لا يخص المندائيين، فهو قد يعني المسيحيين أيضاً.

نعرف عن العديد من الطوائف التي سكنت شرقي الاردن وحملت أسماء مشابهة للناصورائيين، ويوجد احتمال أن هذه الأسماء هي تسميات مختلفة لطائفة واحدة، مثلاً المندائيين.

فالاسم يعني المراقبين. ونسبت الكلمة في السابق إلى الناصرة، التي هي محل ولادة السيد المسيح، لكن الأمر غير واضح، فليس لدينا أدلة بأن الناصرة كانت موجودة في الأزمنة القديمة. لذلك يجب أن يرتبط اسم الناصورايي والنازاريين والنوصريم وغيرهم بتصرف خاص لمجموعة من الناس. لكننا غير متأكدين من الأمر، فهذه الأسماء أطلقها أجانب على هذه الطوائف، عدا المندائيين فهم يستعملون الناصورايي كاسم خاص بهم، وأعتقد أن أحد أقدم الأسماء التي أطلقوها على أنفسهم هو **بهيرا زدقا**، وتعني المختارين الحقيقيين [أو الذين اختارهم الحق]، لكن الناصورايي في النصوص هي التسمية التي يطلقها المندائيون على أنفسهم، وربما استعملت جماعات أخرى الاسم، فنحن حتى الآن لا نعرف بالضبط.

نلاحظ التشابه بين المندائيين والقمرانيين من ناحية الأفكار والتسميات. ومن المثير وجود بعض المتوازيات بين المندائية والقمرانية، مثلاً الاصطفاء، كذلك

التشابه في طريقة دفن الموتى، والاغتسال، والتقويم القمراني الشمسي الذي يختلف عن التقويم اليهودي الرسمي.

ومن المحتمل وجود طوائف أخرى لها طقوس مشابهة، مثل الكسائيين، والأسينيين. أعتقد أن ذلك كان جزءاً من حركة أسميها الحركة المعمدانية، التي لها علاقة جزئية باليهود غير الأورثوذوكس. فهناك تأثيرات بعض الأفكار اليهودية التي نعرفها من العهد القديم، لكن من جانب آخر نلمس تأثير الأفكار الزرادشتية. ويذكرني التقويم المندائي بالتقويم الزرادشتي الذي يختم العام بفترة خمسة أيام (ما يقابل البنجة وهو عيد الخليقة عند الصابئة المندائيين).

الغنوصية خليط من الأفكار

الغنوصية لها علاقة بالمعرفة الخاصة بأصل النفس البشرية وبكيفية عودة النفس إلى عالم النور. ولدينا شهادات عديدة من الأقباط وهراطقة مسيحيين تتحدث عن جماعات تأثرت بهذه الأفكار تعود إلى القرن الأول الميلادي، وربما كانت توجد في فترات أقدم، لكن بالتأكيد عاشت هذه الجماعات عصرها الذهبي في القرنين الثاني والثالث الميلاديين. والفكر خليط من الأفكار بعضها مسيحية والآخر يهودية وقسم منها إغريقية، خليط من أفكار الحركات التي كانت موجودة في أواخر العصور القديمة. فالثقافة اليونانية الغربية تمازجت بالمصرية الشرقية. الغنوصية هي دين خلاص النفس، وأن الخالق الحقيقي لا يمكن أن يكون قد خلق هذا العالم لما فيه من الشرور، ولا بد أن خطأ ما قد حصل، فالعالم هذا سيء والناس يكرهون بعضهم البعض الخ.

هذه الجماعات عاشت في مناطق متفرقة، وهي ليست متوحدة يقودها كاهن أعلى أو أسقف بتنظيم صارم كالبابا لدى الكاثوليك، بل كانت مجاميع مختلفة عاشت في أماكن مختلفة. وعاش المندائيون في الشرق لكن ليس في المدن الكبيرة بل في الريف، وعاشوا في الأهوار والبطائح التي هي جزء من وادي الرافدين، حيث عاش الهراطقة أيضاً في فترة الحكم الإسلامي حسبما نعلم من المؤرخين المسلمين.

المندائيون ليسوا نساكاً

والمندائيون ليسوا نساكاً لأنهم يتزوجون وينجبون الأطفال على العكس من الكثير من الغنوصيين الآخرين الذين منع عليهم الزواج، فالغنوصيون المتشددون فرضت عليهم العزوبية. ورغم وجود آراء عن الزهد في النصوص المندائية، لكنها ليست ذات ثقل كبير.

الرابط بين يوحنا المعمدان والتعميد

مشكلتي هي أنني لا أستطيع الوصول إلى النسخ الموجودة لدى العوائل المندائية، لأنني أبحث عن النسخ القديمة. لكني لا أهتم بالمندائيين فقط، فأنا أبحث في أفكار ونظريات العلوم الدينية وتاريخ الأديان ووضع الحدود بين الدين الخالص والثيولوجيا، فالأول هو "منطقة محايدة" أكثر من الثانية. وأنا الآن متقاعد في ماربورغ لكني أقوم بتقديم محاضرات صيفية في دراسات الأديان وأتعاون مع بروفيسور في جامعة غوتنغن متخصص في العهد الجديد في بحث عن علاقة يوحنا المعمدان بالمندائيين. إذ لابد من وجود علاقة بين يوحنا المعمدان والمندائيين، خاصة بالارتباط بطقس التعميد، لأن الأمر يعتمد على قيم الشهادة والتعميد، وهي قيم ملموسة ولابد أن تكون لها علاقة بنشاط يوحنا المعمدان.

المانية المتأثرة بالمندائية

تنسب المانية إلى ماني الذي ادّعى النبوة، ومولد ماني كان على الأرجح في سنة ٢١٥م في قرية صغيرة قريبة من بابل، وكان أبوه (فاتك) قد هاجر من بلدة همدان (اكبتانا القديمة) إلى بابل حيث أقام هناك، وكان يحضر مجالس (**المغتسلة**) وهي الاسم الآخر للمندائية التي وجدت في الأقاليم الواقعة بين دجلة والفرات، أي أنه كان قد نشأ على مذهب المغتسلة وهو طفل صغير. ولكنه تعمق في الدراسة

الزردشتية والمسيحية والمذاهب الجنستيكية وخاصة مذهبي (ابن ديصان ومرقيون) فترك مذهب المغتسلة. وادّعى النبوة وأسس ديانة جديدة.

وتحوي المانوية كثيراً من العقائد المشابهة لعقائد المندائية. بل يمكن اعتبارها أحد الفرق المنشقة عن المندائية.

فكان ماني يدّعي بأنه يرى الوحي عدة مرات في صورة ملاك اسمه. وأنه يكشف له عن الحقائق الإلهية.

وادّعى بأنه أتى لتكميل كلام اللّه (كنزا ربّا) وأنه خاتم الأنبياء. ويرى ماني أنه كان في العالم كونان أحدهما نور والآخر ظلمة (مبدأ مانوي وزرادشتي) وإن الأول هو (العظيم الأول) أو الإله (سروشاو) ويشار إليه أحياناً باسم (زروان) وهو يتجلّى بخمسة أشياء تمثل الخير هي: (العِلم، الحِلم، العقل، الغيب والفطنة). وأشياء خمسة شريرة تمثل الظلمات هي: (الضباب، الحريق، السموم، السم والظلمة). وقد اختلطت العناصر الخمسة النورانية مع عناصر الظلمات الخمسة ونتج عن ذلك عناصرنا الخمسة التي لها صفة الطيب والخبث، وهذا موجود في (الآوستا الزرادشتية) وقد طلب (الرجل الحامل صفة الخبيث والطيب) بعد ضيق صدره من (العظيم الأول) سبع مرات. والرقم خمسة موجود عند المندائية، فيما انتشرت أهمية الرقم سبعة وأفعاله السحرية عند الماسونية والدرزية التوحيدية،

وتتشابه قصة الخلق عند المانوية والمندائية. ففي الماني يعتبر الخالق الواحد هو (صاحب الأنوار) وهو الذي دعا (روح الحياة) (دميورجس عند مانوية الغرب) والإله ميترا في نصوص لهجة الجنوب الغربي. وقد نسل (روح الحياة) خمسة أبناء: زينة المجد، ملك الشرف، **آدم النوراني**، ملك الافتخار، والحامل.. وهبط (روح الحياة) مستعيناً بأبنائه الخمسة إلى مملكة الظلمات وبدعاء الرجل القديم بصوت عالٍ. فقتل ثم سلخ (أراكين ـ عفاريت) مملكة الظلمات ومن جلودهم خُلقت (أم الحياة ـ السماء)، ولكن أجسادهم ألقيت إلى أرض الظلمات، حيث تكونت الأرض من لحمهم والجبال من عظامهم.

وتأثّرت المانية بالزرادشتية، فقدست الكواكب واعتقدت بأن روح اللّه تحل بها، وبذلك تخرج عن مفهوم المندائية التوحيدية، وتصبح إلحادية. فالمبشر نفسه عند

المانية كان في مرتبة البتول الأولى النورانية. وقد اتخذ مقامه في الشمس، ومن هنا سيّر السفينتين (الشمس والقمر) وكانت الشمس والقمر والنجوم والبروج قد كوّنت نوعاً من الآلهة كان عملها الوحيد هو أن تخلّص ذرات النور من اختلاطها بمخلوقات الظلام ثم تنقلها إلى سماء النور. وبأمر (المبشر) سُيّرت العجلات الثلاث وشُيّد (الباني الكبير) أرضاً جديدة وسجناً للأشرار. وهكذا بدأت الحركة للعالم كله وحينئذ أعاد (المبشر) التجربة التي قام بها من قبل (روح الحياة).

الهيولى هي المبدأ الخبيث

هذا وقد وجد (شيدر) في ملخص عقائد ماني: إن الأصلين القديمين هما الله والهيولي (الحركة المضطربة) **فالله هو المبدأ الطيب والهيولي هي المبدأ الخبيث** (وهذه الفكرة ترجع إلى الجنوستيكية ـ ابن ديصان) فيتدخل الله لينظم الحركة ويبدأ بإرسال قوة هي النفس التي تختلط بالهيولي، ثم يرسل قوة أخرى هي العقل فيبدأ حركة التخليص. فالنفس التي تنبعث من الله والتي قد وضعت تحت سلطان المادة باتحادها مع الجسد والذي فقد إحساسه فيوقفها ويخلقها روح من عند الله. والإنسان مكون من النفس التي ترجع كلياً إلى العالم العلوي ومن الجسد الذي يبقى في العالم السفلي.

أما نهاية ماني فكانت أن ماني صُلب وسُلخ حياً ثم قُطع رأسه وحُشي جلده وظل معلقاً على أحد أبواب مدينة (جنديسابور) في الأهواز.